

إخترنا للطالب

صفحات من تاريخ الكفاح السوري

بقلم
محمد بهجت
ناظر القبة الثانوية

اخترنا للطالب

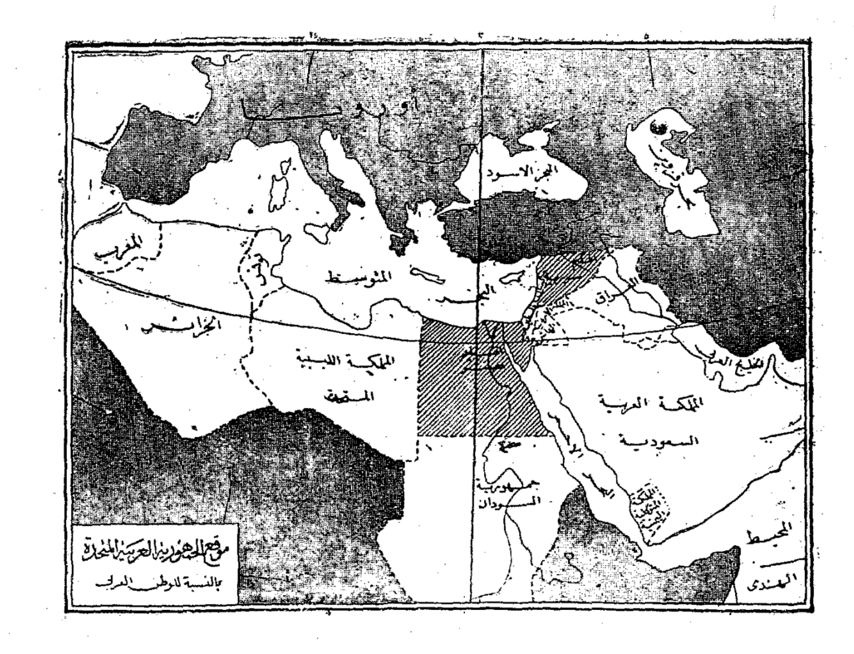
العدد ٤٣

صفحات من تاريخ الكفاح السوري





رائد القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر
مع المواطن العربي الاول شكرى القوتلى


موقع الجمهورية العربية المتحدة
بالنسبة للوطن العربي
أوروبا
البحر الأسود
المغرب
الجزائر
المتوسط
البحر
المملكة الليبية المتحدة
العراق
الخليج العربي
المملكة العربية السعودية
البحر الأحمر
جمهورية السودان
المحيط
الهندي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة

أبنائى الطلاب :

تحتفل الجمهورية العربية المتحدة يوم ١٧ أبريل بعيد جلاء القوات الفرنسية عن الإقليم الشمالى .

ولهذا فإنى أنتهز هذه الفرصة الطيبة ، فرصة العيد القومى فى سوريا لاقص عليكم صفحات قليلة من تاريخ شعب كريم نشأ ونما فى أحضان بقعة طاهرة كانت دائماً منبت القوى الروحية ، ومنار الهداية والعرفان فى شتى العصور والأزمان .

تاريخ قديم

إن الإقليم السورى جزء من الوطن العربى الكبير الذى نطلق عليه اليوم « الشرق الأوسط » وقد كانت هذه المنطقة كلها ميداناً للمعارك الحامية والحروب التى لا ينقطع أوارها بحكم الموقع الجغرافى ، فالشرق الأوسط جسر يربط بين القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا، لذلك لم يكن غريباً أن تغمره الهجرات والغزوات بقصد العيش فى ربوعه .

خرج إليه الساميون من قلب الجزيرة العربية وتحركت نحوه جحافل التتار والمغول والأتراك من أواسط آسيا وأطرافها وجاءته جيوش الفرس وجنود الاسكندر وأباطرة الرومان . كل هذه القوات الضاربة كان هدفها الشرق الأوسط . وفى أوربا فى العصور الوسطى تجمع الصليبيون ثم تحركوا نحو الشرق الأوسط وفى رؤوسهم آمال عريضة ، وأحلام طائشة بددتها المقاومة الباسلة وحطمتها روح التضحية والفداء وقضى عليها نهائياً بطل العروبة والإسلام صلاح الدين الأيوبى .

خريطة الشرق الأوسط

إذا نظرت بعين فاحصة دارسة إلى الخريطة الطبيعية لبلاد الشرق الاوسط تجد أن الأقطار العربية فى قارتى آسيا وأفريقيا قد اجتمعت كلها فى صعيد واحد لاتفرق وحدتها البحار ولا تمزق أوصالها الجبال الشامخة .

فهذه شبه جزيرة العرب والبقاع العربية وفى شمالها العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، وهذه هى الأرض الطيبة فى الركن الشمالى الشرقى لأفريقيا (مصر) تجاورها جنوباً وغرباً السودان وليبيا .

يتضح لك أن تاريخ وجغرافيه هذا الوطن الكبير لن تسمحا أبداً بتمزيق أوصاله فسيظل دائماً وحدة تمتد من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى حتى ولو كره المستعمرون .

اسم سوريا

يقول الدكتور « فيلب حتى » فى كتابه تاريخ سوريا أن الاسم يونانى فى شكله والمقصود به البلاد الواقعة بين جبال طوروس

وسيناء من جهة والبحر المتوسط والبادية من جهة أخرى ، وكان « هيرودوت » يعتبر فلسطين جزء من سوريا .

أما العرب فقد أطلقوا على البلاد الممتدة من الفرات شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً ومن جبال طوروس شمالا إلى الصحراء جنوباً اسما جديداً هو « بلاد الشام » .

أما سوريا الحديثة فالمقصود بها فى هذا الموضوع الاقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة .

مكانة سوريا فى التاريخ

تحتل سوريا (وكانت تشمل فلسطين ولبنان ضمن حدودها القديمة) مكاناً فريداً فى سجلات التاريخ من حيث آثارها الفكرية والروحية . كانت مهد اليهودية ومكان مولد المسيح عليه السلام فمن أرضها الطاهرة ظهرت ديانتان توحيديتان ، أما صلتها بالديانة الاسلامية فقوية وثيقة ، إن أنظار المسلمين والمسيحيين واليهود أينما وجدوا تتجه دائماً إلى البقاع المقدسة فى سوريا يستوحون الهداية والراحة النفسية .

قدم السوريون القدماء للعالم أروع الأفكار وأرفعها وابتكروا

وسيلة التعبير عن نتاج عقولهم بعلامات بسيطة تسمى « الابجدية » التى ساعدت على تدوين الأدب والعلوم والمعارف وحفظتها من الضياع .

بعد انتشار الاسلام بفترة قصيرة أصبحت دمشق قاعدة الدولة الاموية وقلب الاسلام النابض ولقد امتدت الفتوحات الاسلامية حتى آسبانيا وجنوب فرنسا فى أوروبا وحتى حدود الصين فى آسيا وبذلك بلغت الدولة الاسلامية غاية مجدها ، مجداً لم تصل إليه الدولة الرومانية فى أوج عزها وازدهارها .

وفى العصور الوسطى كانت سوريا ميدان المصادمات بين الشرق الإسلامى والغرب الصليبي ، إذ جمعت أوروبا حشوداً من الصليبين لغزو الشرق والاستيلاء على بيت المقدس - وقد انتهت الحملات الصليبيه بالفشل الذريع .

لم تقف أهمية سوريا فى التاريخ عند هذه الحدود ولكنها امتازت بأنها كانت جسراً تعبره الثروة الثقافية من مراكز الحضارة المجاورة ، كما كانت ممراً للبضائع والسلع التجارية .

ولقد أثبت البحث الأثرى الحديث أن سوريا قد احتلت مكانة ممتازة فى عصور ماقبل التاريخ إذ تحولت فيها مرحلة الصيد

والبداوه إلى مرحلة الزراعة والاستقرار أى أن الحياة المستقرة قد ظهرت فى سوريا قبل ظهورها فى أى بقعة من بقاع العالم .

البيئة الطبيعية والحياة النباتية

تخضع سوريا لمناخ البحر المتوسط : فصل حار جاف صيفاً وفصل معتدل ممطر شتاء وتعليل ذلك وقوعها بين منطقتين مختلفتين تماما فى درجة هطول الامطار وهما منطقة الرياح التجارية الشمالية الشرقية الجافة ومنطقة الرياح الجنوبية الغربية الممطرة شتاء ، وتعتدل درجة الحرارة على الساحل وترتفع فى الداخل لأن الحواجز الجبلية تحول دون تغلغل رياح البحر الملطفه إلى الداخل .

وفى سوريا مناطق نباتية مختلفة تتباين فى غلاتها وانتاجها ، ففى السهل الساحلى والسفوح المنخفضة للمرتفعات الغربية يظهر نبات اقليم البحر المتوسط وتمتاز هذه المنطقة بوجود الأشجار دائمة الخضرة ونباتات الربيع التى تنمو بسرعة فائقة وتملأ الجو بأريجها الحلو العطر ، وتظهر النباتات التى أمدت الإنسان والحيوان بالطعام « القمح والشعير » .

وتمتاز سوريا بشجر الزيتون الذى يغطى مساحات واسعة من أرضها ، وشجرة الزيتون المباركة تعطى أكثر مما تأخذ ، فهى تحتاج إلى جهد قليل وعناية بسيطة ، ومع ذلك فقد كانت ولا تزال إحدى مصادر الغذاء الرئيسية للطبقات الكادحة إذ يحل زيت الزيتون فى الطعام مكان الزبد ، ويستعمل فى المصابيح للإضاءة ويدخل فى تركيب العطور والروائح والمراهم الطبية ، وبقايا الزيتون بعد عصره تستخدم علفاً للحيوان . أما نواة الزيتون إذا جرشت تستخدم للوقود .

إن شجرة الزيتون سخية الكف كريمه ولذلك اعترف الإنسان بفضلها ، واتخذ من « غصن الزيتون » رمزاً للسلام وعنواناً للمحبة والوئام .

العلاقات السورية المصرية القديمة

بدأت العلاقات بين مصر وسوريا قبل قدوم الفينيقيين وكانت قاصرة على العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين —

على إن فراعنة مصر فى عهد الدولة القديمة تبينوا أن مصر وسوريا يجب أن يكونا بلداً واحداً له حكومة واحدة وتثبت الوثائق التاريخية إن الملك سنفرو قد استورد عام ٢٧٥٠ ق . م حمولة أربعين سفينة من خشب الأرز لاستخدامها فى أعمال العمران.

كما أن الملك خوفو صاحب الهرم الاكبر قد أرسل هدية من المرمر نقش عليها اسمه إلى آلهة هذا الاقليم .

وفى عهد الدولة المتوسطة قويت العلاقات بين البلدين وازدادت الصلات بين شعبي مصر وسوريا بدليل أن الملك سنوسرت ترك وصفاً دقيقاً للحياه الاجتماعية فى هذا الاقليم —

وفى عهد الدولة الحديثة كانت فكرة أحياء الامبراطورية

وجمع شمل الدولتين قد اتضحت معالمها وبانت أهميتها وضرورتها وخاصة بعد غزو الرعاة « الهكسوش » لمصر —

بدأ أحس البطل المصرى العظيم الذى طهر أرض الوطن من الرعاة وأعاد لمصر استقلالها المسلوب ، بدأ يعمل للوحدة التى تمت بشكلها الكامل فى عهد « تحتمس الثالث » .

وهكذا ارتبط البلدان واجتمع الشعبان فى وحده لها أهداف واحدة ومصالح واحدة وقد توطدت العلاقات بين شطرى الامبراطورية عن طريق المصاهرة وسياسة الود والمشاركة .

سوريا فى العصر الاسلامى

في فجر الاسلام فتح العرب سوريا ومنها تحرك جيش الاسلام يقوده الفاتح « عمرو بن العاص » نحو مصر للقضاء على حكم الروم. نجح المسلمون فى تحطيم الدولة الرومانية الشرقية وتقليم أظافرها وأصبحت مصر وسوريا أثمن جوهرة فى تاج الدولة الاسلامية.

ولما انتهى عهد الخلفاء الراشدين وقامت الدولة الأموية اتخذ مؤسسها دمشق عاصمة له إذ كانت الشام مركز أنصاره وموطن مؤيديه.

ولما أفل نجم الامويين وقامت دولة بنى العباس ، انتقل مقر الخلافة من دمشق وأصبحت سوريا فرعا تابعاً للدولة العباسية وتبعتها مصر إلى نفس المصير.

وفى مستهل القرن السادس عشر الميلادى قام العثمانيون بالقضاء على حكم سلاطين المماليك واستولوا على سوريا سنة ١٥١٦ ثم مصر ١٥١٧ ـ وكان استيلاء العثمانيين على مصر وسوريا فاتحة لوقوع

الشرق العربى كافة تحت الحكم العثمانى - والواقع أن الظروف التى أحاطت بالعالم الاسلامى هى التى مكنت العثمانيين من نشب مخالبهم فى جسم الوطن العربى الذى اضعفته الحروب الطويلة والجهاد المرير والمقاومة المتصلة ضد غزوات المغول وهجمات التتار وأطماع الصليبيين وغارات البرتغال والاعتداء الايرانى الصفوى على العراق - حقا لقد كان الشعب العربى يترنح اعياء من طول الجهاد ضد المعتدين ولذلك وجد العثمانيون فرصة طيبة فى الانقضاض على الشعب العربى الجريح -

وما أن ثبت قدم العثمانيين فى سوريا حتى قسموا البلاد إلى أربعة أقسام تعرف بالألايات هى : حلب ، بيروت ، الشام ، والقدس - ويقوم على رأس كل قسم «باشا» يخضع بدوره للحاكم الأعلى فى دمشق -

لقد كان الحكم العثمانى مرآ وحنظلا وظلما وطغيانا ولذلك تحركت النخوة العربية وتعددت الثورات الهادفة نحو التحرر ففى عام ١٨٣١ ثار السوريون ضد الوالى سليم باشا وقتلوه لأنه اشتط فى فرض الضرائب .

وفى عكاء لبنان قام الشيخ ضاهر العمر بتخليصها من مساوىء

الحكم العثمانى ومد نفوذه على المنطقة كلها ورفع راية الاستقلال زهاء ربع قرن ـ أما لبنان فنظرا لتعدد الأديان وتباين المذاهب وتنوع العصبيات وقيام الخلافات المستمرة والتطاحن الداخلى فإن الاوروبيين قد عملوا جاهدين على التدخل فى شئونه ولكن الأمير بشير الشهابى وقد فطن إلى الخطر المستتر كرس جهوده لمقاومه هذا التدخل البغيض وحمايه البلاد من شرور ميكروب التغلغل الأجنبي .

ولما دخلت سوريا تحت حكم محمد على قررت انجلترا تنفيذاً لسياستها المرسومة « ابعاد » محمد على وفصل سوريا عن مصر ولذلك حركت أسطولها ونشرت دسائسها ومؤامراتها حتى تم لها ما أرادت عام ١٨٤١ وعادت سوريا إلى حظيرة العثمانيين .

كفاح سوريا بين الحربين العالميتين

١٩٢٠ — ١٩٣٩

انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا وانتصار الحلفاء .

وما كاد الحلفاء يغسلون أيديهم من الدماء التى خضبت بلاد العالم حتى جلسوا إلى الموائد المستديره يوزعون الغنائم والأسلاب ويرسمون خريطة العالم وفق أهوائهم وأغراضهم ومصالحهم متناسين الوعود البراقة والعهود الزائفة التى قدموها للشعوب المخدوعة التى وثقت فى شرفهم فوقفت بجانبهم حتى مكنتهم من النصر .

تقرر فى مؤتمر « سان ريمو » ١٩٢٠ ـ انتداب فرنسا فى سوريا ولبنان وانتداب انجلترا فى فلسطين والعراق بما فيها أقليم الموصل بشرط أن يكون لفرنسا نصيب فى بترول هذه المنطقة ـ وما كادت قرارات المؤتمر تعلن على الملأ حتى أسرعت القوات

الفرنسية (وكانت تحتل الساحل السورى) إلى التوغل فى الداخل واحتلاله .

أما انجلترا فقد اقتطعت الجزء الجنوبى الشرقى من سوريا وأقامت عليه الأمير عبد الله بن الحسين وأطلقت عليه اسم « شرق الأردن » .

لم تطق سوريا أساليب الاستعمار الفرنسى العتيقه فقد عانى الشعب كتم أنفاس الحرية ولاقى من صنوف العذاب والتعذيب ألواناً تعود بالإنسان إلى عصور التوحش والهمجيه ـ عمل الاستعمار الفرنسى على تدمير القيم الأخلاقية والقضاء على المثل العليا وتحطيم الروح العربية الأصيلة فى شعب سوريا ـ ولم يكتف بذلك ولكنه عمل بأساليبه الدنيئه على بذر الشقاق بين سوريا ولبنان وتوسيع رقعة لبنان على حساب سوريا ـ ويجب إلا نغفل عن حقيقة واقعة وهى أن الاستعمار الفرنسى كان ضالعا مع لبنان معقل النفوذ الفرنسى وموطن أصدقاء فرنسا القدامى من الموارنه .

قام الفرنسيون بتجزئه سوريا إلى أربعة أجزاء : دولة حلب دولة العلويين (اللاذقية) ، دولة دمشق ، دولة جبل الدروز (السويداء) ولم يقنع الفرنسيون بحركة التفتيت وتقطيع أوصال

البلاد ولكنه ظل سادراً فى غية مسترسلا فى سياسته الضالة فتدخل فى أهم شئون البلاد وفرض ثقافته ولغته فى التعليم وأقام الحواجز الجمركية بين أجزاء سوريا حتى تصاب الحياة الاقتصادية بالشلل والعجز . لقد كان هـــدف الطغاه هدم كيان سوريا العربى الكريم .

لم يهدأ لسوريا بال ولم يغمض لها جفن فقررت رفـع رأيه الجهاد والانقضاض على الظالم وتخليص البلاد من ألوان الظلم والاستعباد .

عبرت سوريا عن شعورها الدافق باشكال مختلفه فقد قتل المجاهدون السوريون وزيرين كانا إداة طيعه فى يد الاحتلال ١٩٢٠ ـ وأطلقوا النار تعبيراً عن عواطفهم المكبوته على الجنرال غورو ١٩٢٢ ـ وفى أثناء زيارة المستر « كراين » عضو لجنة الاستفتاء الأمريكية لمدينة دمشق قامت المظاهرات العنيفة وعبر الشعب بلسانة وروحه عن مطالبه العادله ودوت الهتافات بسقوط فرنسا . ردت فرنسا على حركة الاحرار بنشر الأرهاب والقبض على المجاهدين وحشرهم فى السجون والمعتقلات .

أراد الجنرال غورو إن يصب قليلا من الماء البارد على النار

المتأججه فى نفوس الأحرار المجاهدين فاصدر عام ١٩٢٢ قراراً بتكوين اتحاد سورى بين دول دمشق وحلب والعلويين ولكن خلفه نقض هذا القرار وحل هذا الاتحاد .

أيقن الشعب السورى أن طريق الجهاد طويل شاق ولكنه مضمون وأن الاستقلال يؤخذ ولا يوهب وأن الحريه حسناء لا يغلها المهر ولذلك صمموا على متابعة الكفاح واستئناف الجهاد ومواصلة المقاومة وأصبح شعارهم .

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

توالت الأحداث بسرعة مذهله واشتد لظى نار الجهاد حتى لفح وجوه المستعمرين .

طالب السوريون بدستور يكفل للبلاد حرياتها ويصون مصالحها فقدمت فرنسا مشروع معاهدة اغفلت فيها حقوق البلاد ولم تبين بها حدود العلاقات بين الطرفين، فلما عرض هذا المشروع على المجلس النيابى فى نوفمبر ٩٣٣ ، وقف النواب الأحرار يطالبون برفض مشروع المعاهده جمله وتفصيلا .

فكان رد المفوض السامى الفرنسى على صيحة الأحرار اصدار

قرار بحل المجلس النيابى واغتصب لنفسه حق اصدار القرارات حسب اهوائه غير مراع مصالح الشعب ورغباته واستمر فى هذه السياسة الخرقاء أكثر من عامين فى خلالهما تبلورت المطالب الوطنية وتضافرت الجهود واتحدت الكلمة وازداد نشاط الكتله الوطنيه ولذلك انتهز الأحرار فرصة الاحتفال بذكرى الزعيم ابراهيم هنانو ١٩٣٦ واصدروا الميثاق الوطنى الذى يتضمن مبادىء التحرر والوحدة ومقاومه فكرة الوطن القومى الصهيونى والعمل المتواصل للوحدة العربية الكامله .

هبت دمشق تعلن الاضراب العام وترفع علم الجهاد عاليا خفاقا وتعلن فى صراحة ووضوح أنها لن تقف فى منتصف الطريق .

أمام هذا الثبات الرائع والتعاون الوثيق وروح التضحية والفداء والعزيمة الحديدية للمجاهدين لمير المندوب السامى الفرنسى بدا من التراجع والخضوع . أذاع بيانا رحب فيه بفتح باب المفاوضات للوصول إلى عقد معاهده تحالف وصداقة مع الشعب السورى .

رحب السوريون بهذه الخطوه أملا فى الوصول إلى تحقيق

مطالبهم ، وتم الاتفاق على تشكيل وفد سورى يتولى المفاوضات مع المسئولين رأساً فى باريس (مارس ١٩٣٦) - استمرت المفاوضات خمسة شهور وانتهت بمعاهدة ١٩٣٦ وتتضمن ما يأتى :-

(ا) ضم أراضى العلويين وجبل الدروز إلى سوريا بشرط أن يكون لهما نظام مالى وإدارى خاص .

(ب) تعهدت سوريا باحترام استقلال لبنان والكف عن المطالبة باتحاد سوريا ولبنان .

مشكلة لواء الاسكندرونة :

خافت تركيا من أن يؤدى زوال الانتداب الفرنسى فى سوريا إلى عوده لواء الاسكندرونة إلى أصحابه الشرعيين لذلك طلبت من فرنسا بحث موضوع الحدود فى الوقت الذى كانت فيه المعاهدة على وشك التوقيع فرأت فرنسا عرض هذا الموضوع على « عصبة الأمم » فقررت العصبة منح اللواء الاستقلال الذاتى تحت اشرافها على أن يشترك اللواء مع سوريا فى الشئون الخارجيـــة والنقد وقررت العصبة أن تكون لغتا اللواء الرسميتان العربية والتركية (يناير ١٩٣٧) - عينت العصبة لجنة مراقبين للاشراف

على انتخابات المجلس التمثيلى فى اللواء ـ جزعت تركيا لأن رعاياها فى اللواء لايتجاوزون الثلث ولهذا سعت إلى عقد معاهدة صداقة مع فرنسا (١٩٣٨) وبمقتضاها دخلت بعض الفرق التركية مع الفرق الفرنسية إلى اللواء المحافظة على النظام والهدوء أثناء عملية الانتخاب ـ ظهر واتضح للجنة المراقبة أن جو الانتخابات موبوء فاسد وأن الدسائس والمؤامرات ستجعل من هذه العمليه مهزلة يلطخ بها التاريخ بعض صفحاته ـ انسحبت اللجنة وسجلت على فرنسا وتركيا التلاعب والغش والخداع والارهاب والرشوة للتأثير على العناصر غير التركية وهى تمثل الأغلبية الساحقة ـ على أن هذه الصيحة ذهبت مع الريح ولم يؤثر صداها الخافت فى نتائج المهزلة .قد تمكن الأتراك باساليبهم المعروفه القذرة من شراء الذمم والضمائر وتحطيم القيم الأخلاقيه .

نجح الأتراك بأغلبية ٦٣٪ ولما اجتمع المجلس النيابى الزائف قرر الالتحاق بتركيا ـ (يونيو ١٩٣٩) .

هاج الرأى العام فى سوريا وصب نقمته على فرنسا الخادعه التى تخلت عن عهودها والتزاماتها وأغفلت بنود صك الانتداب الذى يلزمها بالمحافظة على أراضى سوريا وأملاكها .

كانت انجلترا ترقب سير الحوادث عن كثب وتشعر باغتباط شديد لانها تفضل أن تكون القاعدة البحرية « الاسكندورنه » التى تقابل قاعدتها البحرية فى قبرص فى يد دولة ضعيفة مثل تركيا لا فى يد دولة قوية منافسة مثل فرنسا .

قرر المجلس النيابى السورى عدم الاعتراف بضم هذا اللواء إلى تركيا - ومن الحقائق الثابته أن اغتصاب تركيا لهذا الجزء من جسم الوطن السورى كان ولايزال وسيظل دائماً الصخرة التى تتحطم عليها جميع المحاولات للتفاهم بين تركيا وبين الشعب العربى الكبير .

فى هذا الجو المشحون بالكهرباء والذى تبدو فى آفاقه نذر حرب كبرى لاتبقى ولا تذر ، فتحت الوزارة السورية صفحات أخرى فى المفاوضات اضافت ملاحق وذيولا مجحفة بحق الوطن السورى ، وصرح جميل مردم رئيس الوزاره أمام المجلس فى دمشق بأن أمضاء المعاهدة قد أصبح وشيك الوقوع ولكن برقيه جاءت من باريس تقول أن المعاهدة ان تعرض على البرلمان الفرنسى فى الوقت الحاضر فكانت صدمة أصابت الوزارة وسياستها فاستقالت .

لجأ المسيو « بيو » المفوض الفرنسى إلى حل المجلس النيابى وفصل جبل الدروز وجبل العلويين عن الإدارة المركزية فى دمشق. إستقال رئيس الجمهورية هاشم الاتاسى وتوالت الازمات الوزارية واسندت أمور البلاد إلى مديرين مأجورين يأتمرون بأمر السلطة الحاكمة فعم السخط والاستياء من السياسة الغاشمه وقرر الأحرار إستئناف الجهاد والاستعداد للشوط الثانى من مباراه الكفاح .

سوريا اثناء الحرب العالمية الثانية

اتخذ نظام الحكم خلال عهد الانتداب إشكالا مختلفة في الفترة ما بين عامى ١٩٢٠ إلى ١٩٣٠ كانت سوريا تعانى وطأه الحكم المطلق وكان المفوض السامى الفرنسى يقبض على السلطات التشريعيه والتنفيذية وكانت رقابة عصبة الآمم صورية شكلية بدليل أنها لم تتحرك يوم أقدمت فرنسا على ارتكاب جريمتها بتقسيم سوريا إلى دويلات منفصلة لا رابط بينها .

وفى الفترة الثانيه بين عامى ١٩٣٠ ، ١٩٣٩ ظهر دستور ١٩٣٠ وقد رأينا فى الصفحات السابقة صورة ناطقة لسياسة فرنسا من ناحية وجهاد الشعب السورى وكفاحه من ناحية أخرى .

ولما وقعت الحرب العالمية الثانية كان لوقوعها أثر بالغ فى تطور الآمور تطوراً خطيراً إنتهى باستقلال سوريا وجلاء القوات الآجنبية عن أرضها .

لما سحقت القوات الآلمانية جيش فرنسا الهزيل أصبح موضوع

أنتداب فرنسا فى سوريا موضع التساؤل واحاطت به علامات الاستفهام . ولكن فرنسا المهزومة أعلنت فى تبجح وفى غير حياء فى ٢٧ يونيو ١٩٤٠ أنه تبعا لشروط الهدنه لن يحدث أى تغيير فى وضع البلاد الخاضعة للانتداب الفرنسى . ولكن أحرارسوريا لم يقروا هذا الرأى الفج ورأوا أن مصير عصبة الأمم التى كانت قد قررت هذا الانتداب قد بان ووضح ولذلك فإن الانتداب أصبح غير ذى موضوع .

توالت بيانات الاحرار السوريين وعارض الزعيم شكرى القوتلى مزاعم الفرنسيين موضحا أن فرنسا إنما جاءت إلى أرض سوريا الطاهرة بأمر العصبة وإن العصبة قدأصبحت فى طريقها إلى الجحيم وذكر الزعيم الحـــر إن فرنسا لم تف بعهودها ولم تحقق وعودها وتلتزم بنود صك الانتداب التى رسمتها لها العصبة وأتهم فرنسا بأنها كانت تعمل جاهده على إقتلاع جذورالقومية العربية وأنها إذا قت البلاد شرور الطغيان الاثيم وأعلن الزعيم الكبير شكرى القوتلى بأن سوريا لن تغمد سلاح الجهاد إلا بعد أن تحقق آمالها الكبار فى الاستقلال والجلاء.

فى ٢٨ سبتمبر ١٩٤١ أعلن الجنرال «كاترو» استقلال سوريا بعد هزيمة قوات «فيشى» وبعد دخول القوات الفرنسيه الحرة والقوات البريطانية سوريا ولبنان وقد تضمنت وثيقة الاستقلال ما يأتى :-

أولا : اعتراف فرنسا الحرة بانهاء الانتداب واستقلال سوريا وجاء فى الإعلان أن سوريا قد أصبحت دولة مستقلة كاملة السيادة ولن تفرض على سيادتها أية قيود إلا ما تقتضيه الضرورات الحربية ، كما أعطى سوريا الحق فى تعيين الممثلين السياسيين وفى انشاء جيش وطنى .

ثانياً : اعتراف فرنسا بالوحدة السورية مع الاحتفاظ بالوضع الخاص للدروز والعلويين وقد أعلن الجنرال كاترو بأن دوله فرنسا الحرة تعتبر دوله سوريا وحده سياسية لا تتجزأ ولذلك سيعيد المندوب العام لفرنسا النظر فى القرارات الخاصة ببعض المناطق (جبل الدروز واللاذقية) على أساس اندماجها فى الدولة السورية وخضوعها لقوانينها مع الاحتفاظ باستقلالها المالى والإدارى .

ثالثاً : تبقى قوات الاحتلال فى سوريا ولبنان خلال الحرب لغرض الدفاع عن استقلال البلدين وسيادتهما .

رابعاً : وبالرغم من إعلان الاستقلال فإن فرنسا الحره كانت ترى إن البت النهائى للقضية السورية يجب أن يكون فى شكل معاهدة تضمن لفرنسا نفوذها ومصالحها وتضمن للحلفاء بقاء سوريا تحت تصرفهم .

وتتضح لنا خطوط السياسة الفرنسية فى الكتاب الذى أرسله الجنرال ديجول إلى كاترو .

« أن مهمتك تنحصر على الأخص فى اصلاح الأحوال الاقتصادية والتفاوض مع ممثلى الشعب السورى لعقد معاهدة تعترف باستقلال البلاد وتضمن حقوق فرنسا ومصالحها وتلزم السوريين بالتحالف مع فرنسا » .

رفض الزعماء السوريون أن يكون الاستقلال موضع مساومه وأن يكون رهينه لمعاهدة لم تتبين معالمها بعد وقرروا التمسك بالبند الأول الذى نص على استقلال البلاد وانهاء الانتداب ـ غير أن فرنسا رأت الرجوع إلى معاهدة ١٩٣٦ التى لم يصدق عليها البرلمان الفرنسى وزعمت أن البرلمان السورى قد صدق على شروطها . قرر زعماء سوريا بأن الظروف قد تغيرت وأنهم قبلوا معاهدة ١٩٣٦ أملا فى إنهاء الانتداب أما وقد أصبح الانتداب منتهياً بنص

الاعلان فليس من المعقول أن يقبلوا قيوداً تحد من سيادتهم الكاملة .

أرسلت سوريا ممثلين لها فى الخارج وبدأت تتخذ الخطوات الايجابية لتحقيق الاستقلال التام .

عملت سوريا فى حزم وعزم على تحقيق مايأتى : —

١ - عودة الحياة النيابية :

عادت الحياة النيابية فى سوريا فى أغسطس ١٩٤٣ بعد عامين من اعلان كاترو قضاهما الشعب فى جهاد وتكتل وكفاح تحت راية الزعيم الكبير شكرى القوتلى .

٢ - تعديل الدستور :

كان من المنتظر بعد عودة الحياة النيابية تعديل الدستور وخاصة المادة ١١٦ من دستور ١٩٣٠ التى منحت المفوض الفرنسى حق الفيتو فى كل مايتعلق بالمسائل التشريعية والتنفيذية . لذلك اجتمع البرلمان السورى فى جلسة غير عادية فى ٢٤ يناير ١٩٤٤ وبعد أن أقسم رئيس الجمهورية يمين الولاء للدستور تقرر حذف المادة ١١٦ السالفة الذكر .

٣ ـ المصالح المشتركة بين سوريا ولبنان :

كان هذا الموضوع بالغ الاهمية لان المناطق الواقعة تحت الانتداب الفرنسى كانت تعيش فى عزلة تامة تحوطها القيود الحديدية وباعلان استقلال سوريا واندماج جبل الدروز واللاذقية فيها مع بقاء لبنان كدولة مستقلة عنها ظهرت ووضحت مشكلة المصالح المشتركة بين الدولتين فرأت الحكومتان السورية واللبنانية نقل السلطات الخاصة بالتشريع إليهما ولكن السلطات الفرنسية اشترطت لتنفيذ هذا ابرام معاهدة مع كل من الدولتين لضمان بقاء النفوذ الفرنسى فيهما .

وكانت انجلترا تولى اهتماما كبيراً المسألة السورية لان سوريا تتمتع بموقع استراتيجى هام فى الشرق الاوسط ويهم انجلترا أن يسود الهدوء هذه المنطقة الحساسة فى سير الحرب ـ لذلك عملت انجلترا على تحقيق مطالب سوريا ولبنان وأرسلت فى ٢٢ نوفمبر ١٩٤٣ إنذاراً إلى فرنسا تبلغها أنه إذا لم تجب مطالب الدولتين فى الحال فان الوزير البريطانى والمقيم فى الشرق الاوسط سيعلن الاحكام العرفية فى لبنان بناء على أوامر حكومته وسيقوم بالامر تبعا لذلك القائد العام البريطانى فى الشرق الاوسط ـ اهتزت فرنسا لهذا الانذار الخطير وخضع كاترو وأحنى هامته وفتح باب المفاوضات

فى دمشق لبحث موضوع المصالح المشتركة وانتهت المفاوضات بعقد اتفاق بين الاطراف الثلاثة فى ٢٢/١٢/١٩٤٣ ينص على تسليم حكومتى سوريا ولبنان جميع السلطات التى كانت تمارسها الادارة الفرنسية باسميهما .

٤ ـ القوات المسلحة والجيش الوطنى :

بعد اعلان استقلال سوريا طالبت الحكومة الوطنية من المندوب السامى الفرنسى نقل جميع سلطات الاشراف على القوات الحامية اليها على أن يكون ذلك الخطوة الأولى لانشاء جيش سوريا الوطنى .

وكانت وجهة نظر الحكومة الوطنية تتلخص فيما يلى :

(ا) الجيش الوطنى هو الدعامة الأولى للاستقلال وهو الضمان الأكيد لنشر النظام واستتباب الأمن والوسيلة الفعالة فى القضاء على عناصر الفوضى ودعاة الهزيمة .

(ب) وجود قوات خاصة تحت إشراف القيادة الفرنسية يثير فى نفوس الشعب الخوف وعدم الاطمئنان والريب والظنون إذ ما الذى يحول دون استخدام هـــذه القوات المسلحة ضد الوطنيين الآمنين .

كان جواب فرنسا على هذه المطالب العادلة أن الأمر يقتضى عقد معاهدة لتنظيم العلاقة بين الدولتين ، والواقع أن فرنسا كانت تعتقد أن الانسحاب من سوريا دون توقيع معاهدة قد يضعف مركزها السياسى فى شمال أفريقيا زد على ذلك أن فرنسا كانت تحس نوايا الانجليز ورغبتهم فى إحلال نفوذهم فى سوريا ولبنان محل النفوذ الفرنسى .

اختلفت وجهات النظر السورية والفرنسية وتجدد الصراع واستأنف الكفاح ووقعت حوادث ٣٠ مايو ١٩٤٥ وتعرضت دمشق لمدافع الطغاة ولم تسلم حمص وحمـــاه من أذى الباغين وعدوانهم الغاشم . جرت الدماء الذكية أنهارا فى سوريا المجاهدة ووقف الشعب كله صفاً واحدا يناضل ويصارع الطغيان ويدفع الظلم ويحطم الاستعباد ، توقف دولاب الأعمال وأصاب الشلل مرافق البلاد جميعاً وانتشرت الفوضى وساد الاضطراب — على أن هذا الارهاب الدموى الأحمر قد زاد فى صلابة المجاهدين وشدد من عزائمهم فصمموا على السير فى شوط الجهاد إلى النهاية . .

أمعن الفرنسيون فى عدوانهم وضرب الشعب السورى أروع

الأمثلة فى التضحية والفداء ويستطيع القارئ الكريم أن يتبين الصورة الحقيقية لجهاد هذا الشعب الباسل من كلمة الرئيس شكرى القوتلى :

« والله لو ذبحوا أطفالى على سريرى وأمام عينى وقطعوا أيدى لن أعقد معاهدة مع فرنسا أسجل بها الذل على وطنى والعبودية على شعبى وأخلد العار على نفسى »

٥ — هيئة الأمم المتحدة والجامعة العربية :

ظهرت فى الأفق عوامل جديدة فى صالح الشعب السورى المجاهد منها ظهور هيئة الأمم والجامعة العربية .

(ا) اعترفت هيئة الامم بسوريا عضوا فيها ومعنى هذا صريح وواضح لأن ميثاق الهيئة ينص على أن الدول الأعضاء دول مستقلة كاملة السيادة والسلطان - إذن فمن حق سوريا أن تطالب فرنسا بالجلاء ومن حقها ألا تمنح فرنسا مركزاً ممتازاً فى بلادها ومن حقها إنشاء جيش وطنى .

(ب) زاد فى قوة سوريا أن الجامعة العربية قد اعترفت فى ميثاقها باستقلال سوريا عضو الجامعة وأحد مؤسسيها .

اجتمع مجلس الجامعة عقب حوادث مايو الدامية فى ٤ يونيو ١٩٤٥ لبحث قضية سوريا وأصدر قراراً فى ٧ يونيو يؤيد فيه سوريا بشأن مطالب الجلاء العاجل كما قرر اتخاذ خطوات ايجابية لمقاومة العدوان الفرنسى .

تضافرت جميع قوى العدالة والحق ضد فرنسا ، أن الوثبة الكبرى التى قام بها الشعب السورى فى ٣٠ مايو والتى لقيت تأييدا من هيئة الأمم وعطفا من الرأى العام العالمى - هذه الوثبة التى وقفت الجامعة العربية بجانبها تباركها وتؤيدها وتسندها ، وحتى انجلترا حليفة فرنسا أيدت مطالب الشعب السورى . أمام هذه العوامل مجتمعه أكرهت فرنسا على الخضوع فسجدت للحق والواقع ووافقت فى مفاوضات يوليو على خضوع القوات الخاصة للحكومة السورية وبهذا تمت مرحلة هامه من مراحل الاستقلال .

٦ ـ الجلاء :

عاد الدستور وانتقلت سلطات المفوض السامى إلى الحكومة الشرعية للبلاد وأصبحت القوات الخاصة خاضعة للحكومة الوطنية

ولكن هل يهدأ بال الشعب وجنود الاحتلال مازالت تلوث أرض الوطن الطاهرة ؟

لا ـ لا ـ لابد من جلاء القوات الأجنبية عن أرض الوطن العزيز .

فى ١٦ فبراير ١٩٤٥ أصدر مجلس الأمن قراراً يقضى بجلاء القوات الفرنسية والانجليزية عن سوريا ولبنان ، وكان فى هذا القرار القضاء النهائى على مهزلة الانتداب .

لم تجد فرنسا بدأ من احناء هامتها والخضوع للأمر الواقع فرحلت غير مأسوف عليها يوم ١٥ أبريل ١٩٤٦ .

وهكذا انتهى الصراع الطويل والكفاح المجيد بانتصار الشعب الباسل الذى كتب فى سجل البطولة صفحات من نور ونار .

وأصبح يوم ١٧ أبريل عيداً قومياً يحتفل فيه الشعب بذكرى النصر المبين . .

سوريا قبيل الوحدة

لما نضجت فكرة انشاء الجامعة العربية كانت سوريا أول بلد اتصلت به مصر لتحقيق هذه الأمنية الغالية وقد كان الوفد السورى أول الوفود التى قدمت للتفاوض والتحدث فى مشروع إنشاء الجامعة عام ١٩٤٠ .

ولقد تناول البحث مشروع التعاون بين الدول العربية على الاسس الآتية :ـ

(ا) التعاون السياسى: ويشمل الدفاع والشئون الخارجيه .
(ب) التعاون الاقتصادى : ويشمل النقد والرسوم الجمركية والمواصلات والتبادل التجارى .
(حـ) التعاون الثقافى والاجتماعى .

وخلال البحث فى موضوع الجامعة العربية ظهر اتجاهان رئيسيان :

(ا) الاتجاه الأول: انشاء جامعة عربية تحقق الوحدة الكاملة الشاملة للدول العربية .

(ب) الاتجاه الثانى : انشاء جامعة عربية تعمل فى مراحل متتابعة وخطوات متتالية للوحدة التامة .

تغلب الاتجاه الثانى تقديراً للأوضاع السياسية المختلفة واحتراما للاعتبارات الاقليمية وعلى هذا جاءت الجامعة إداة تعاون بين الدول العربية فى حدود أوضاعها السياسية والجغرافية .

كان هذا التقارب بين سوريا ومصر طعنه نجلاء فى قلب الاستعمار الغربى لذلك تكتل المستعمرون ضد البلدين بغية القضاء على سياسة التقارب والتعاون بين الشقيقين .

لم تكن مصر أو سوريا بغافله عن سياسة الغرب الاستعمارية التى اتخذت من الحرب الباردة وسائل غير مشروعة للضغط على البلدين اللذين تصدرا معركة الكفاح العربى الشامل وآخذا يعملان فى إيمان وثقة للوحدة الكاملة .

فى مارس ١٩٥٦ انعقد مؤتمر القاهرة واستهل قراراته ببيان الظروف الخطيرة التى تحيط بالعالم العربى وتهدد سلامته واستقلاله وأكد البيان أن السياسه العربية الجديده تؤمن ايمانها بالله بان السلام الحقيق الذى تنشده شعوب العرب وشعوب العالم أجمع لن يستقر ولن يكون حقيقه ملموسه مالم تصبح أسس ميثاق

هيئة الأمم المتحدة مصدر الالهام فى كل دوله ازاء غيرها من الدول بهذا وحده تخف حدة التوتر الذى نشأ من تدخل بعض الدول فى شئون البعض الآخر واستخدام بعض الدول وسائل غير مشروعة للضغط على غيرها والحد من حريتها واستقلالها .

ولهذا التزمت مصر وسوريا سياسة عدم الانحياز وتمسكتا بمبادئ مؤتمر باندونج واعتبرت الدولتان أن هذه المبادئ ستكون دعامة سياسة البلدين فى المحيط الدولى .

هـذه السياسة الاستقلالية الى أعلنتها كل من مصر وسوريا حركت مطامع الاستعمار واهاجت شجونه فأزال النقاب عن وجهه الـكالح وبدأ فى الهجوم السافر وفى أكتوبر ١٩٥٦ تضافرت قوى الشر والعدوان من الانجليز والفرنسيين واليهود وأعتدوا على مصر

ولم يكن العدوان الثلاثى الغادر وليد الصدفة ولـكنه جاء نتيجة لسياسة استعمارية مرسومة .

ولم يكن من المصادفات أيضاً تـكتل القوى الاستعمارية ضد سوريا فى أكتوبر ١٩٥٧ .

فى الواقع هذه السياسة العدائية نحو مصر وسوريا هى نتيجة

خطط موضوعه مدروسة فى وزارات الخارجية للدول الاستعمارية وهى سياسة تهدف إلى تحطيم السياسة الاستقلالية التى نبعت فى القاهرة ودمشق وآمنت بها الشعوب العربية كلها من الخليج الثائر إلى المحيط الهادر .

تعرضت سوريا لألوان من الضغط والاعنات ووقفت مصر بجانبها تسندها وتشد أزرها وتضع جميع امكانياتها السياسية والاقتصادية والعسكرية تحت تصرفها ـ فعلت ذلك لسبب بسيط واضح :

« إن معركة سوريا هى معركة مصر ـ بل هى فى الواقع معركة القومية العربية » .

وكانت اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وســـوريا فى ١١ سبتمبر ١٩٥٧ خنجرا مسموما أغمدته الدولتان فى صدر الاستعمار ومطامعه وألاعيبه ـــ إذ ما كادت القوات العسكرية المصرية تظهر فوق أرض الشقيقة سوريا حتى أدرك الغرب أن مصر جاده لا هازلة وإن التضامن العربى أصبح حقيقة واضحة . وهكذا تبين الاعداء إن الوحدة العربية قد

تخطت دور الأحاديث ودخلت فى دائرة التنفيذ .

وأصبح واضحاً للعالم أجمع بأن مصر وسوريا ان تحيداً عن سياسة عدم الانحياز وان يخضعا إلا لسياسة تنبثق من قلب الشعب العربى الأصيل .

الجمهورية العربية المتحدة

فى اول فبراير ١٩٥٨ اجتمع الرئيسان جمال عبد الناصر وشكرى القوتلى ووزراء الجمهوريتين السوريه والمصرية للتداول فى الاجراءات النهائيه لتحقيق ارادة الشعب العربى ولتحقيق مانص عليه دستورا الجمهوريتين من ان شعب كل منهما جزء لايتجزأ من الأمة العربية الكريمة .

انتهوا إلى أن هذهالوحدة بين البلدين هى أول الخطى فى طريق الوحدة العربية الكاملة وانها سبيل العرب إلى الحرية والسيادة والعزة والكرامة .

ورأوا أن من واجبهم اخراج الوحدة من نطاق الأمانى إلى حيز التنفيذ .

رأى المجتمعون أن عناصر الوحدة بين البلدين قد توافرت وأن دعاماتها قد تكاملت وأن عوامل نجاحها قد تأكدت وأن الله قد جمع بين الشعبين فى كفاح طويل هادف نحو البناء والتحرير والتعاون والسلام .

أعلن المجتمعون اتفاقهم التام وايمانهم العميق وثقتهم الكاملة في وجوب توحيد البلدين سوريا ومصر في دوله واحدة يطلق عليها اسم « الجمهورية العربية المتحدة » .

وأعلنوا اتفاقهم بالاجماع على أن يكون نظام الحكم في الجمهورية العربية المتحدة رياسياً يتولى السلطه التنفيذية رئيس الدوله يعاونه وزراء مسئولين أمامه أما السلطه التشريعيه فيتولاها مجلس تشريعي واحد وعلى أن يكون لهذه الجمهورية علم واحد يرفرف على شعب واحد وجيش واحد .

وحدة يتساوى فيها الجميع حقا وواجبا .

وحدة يحميها الكل بالمهج والارواح .

وحدة يتسابق الجميع إلى تثبيت عزتها وتأكيد منعتها .

وفي يوم السبت ٢٢ فبراير ١٩٥٨ أذيعت نتيجة الاستفتاء واجمع الشعبان على انتخاب الرئيس الرئيس جمال عبد الناصر أول رئيس للجمهورية العربية المتحدة .

هكذا كان مولد جمهوريتنا التي قال عنها الرئيس :-

« هذه الجمهورية التي نباركها جميعاً ونرجو الله أن يوفقها »

هذه الجمهورية العربية المتحدة تحمى ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ولا تتحزب ، أن هذه الجمهورية المتحدة ستكون دائماً سنداً للعرب وأن هذه الجمهورية العربية المتحدة ستكون دائماً عوناً للعرب ضد الاستعمار وضد العدوان » .

أسئلة عامة فى البحث

---

١ ـ ما حدود سورية القديمة ؟

٢ ـ أذكر العلاقات القديمة التى ربطت بين الإقليمين الشمالى والجنوبى .

٣ ـ ماذا كان قرار «سان ريمو» سنة ١٩٢٠ الخاص بسورية؟

٤ ـ ماذا فعل الفرنسيون بسورية من حيث التقسيم ؟

٥ ـ اذكر بإسهاب كفاح الشعب السورى ضد الحكم العثمانى .

٦ ـ بين الروح الثورية التى سيطرت على السوريين وقضت على الاستعمار الغربى .

٧ ـ ماذا تعرف عن مشكلة الاسكندرونة ؟

٨ ـ كيف نالت سورية استقلالها ؟

٩ ـ صف حوادث ٣٠ مايو سنة ١٩٤٥

١٠ ـ أذكر مراحل الوحدة بين مصر وسورية .

١١ ـ ما نتائج الوحدة بين الإقليمين ؟

١٢ ـ ماأثر دعوة القومية فى إيجاد الوحدة ؟

المصطلحات التى وردت فى البحث باللغـة الانجليزية

غصن الزيتون	Olive bough
التتار	Tartars
عصبة الامم	League of Nations
الانتداب	Mandate
العدوان	Aggression
الجلاء	Evacuation
الجامعة العربية	Arab League
الاستعمار	Colonialism-Imperialism
القومية العربية	Arab Nationalism
السلطة التشريعية	The Legislative
الوحدة العربية	Arab Unity

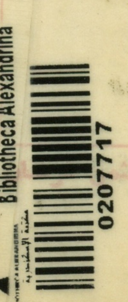
كتب ثقافية

تقدم صباح الخميس

٢٠ ابريل سنة ١٩٦١

الاتجاهات الروائية في القرن التاسع عشر

بقلم
الدكتور محمد غلاب



٤٣ الاربعاء ١٩ ابريل سنة ١٩٦١
الدار القومية للطباعة والنشر
ذات مسئولية محدودة